والطربيد الذي يستعملهُ اليابانيون من النوع الاول اي طربيد هوبتهد وباطنهُ مرسوم في الشكل الخامس فيوضع فيهِ آلة تدير رفاصهُ بالهواء المنضغط وخزنة كبيرة فيها طبقات من قطن البارود وذخير يشتعل حالما يصيب الطربيد الغرض . وهو يطلق اما من انابيب كالمدافع تكون في البوارج والطرّادات او من قوارب صغيرة مصنوعة لهذه الغاية تسمّى نسافات يركبها بعض البحارة ويسيرون بها الى ان يدنوا من سفن العدو يطلقونها عليها ثم يعودون ادراجهم وهم يعلمون انهم يسعون الى حتفهم بظلفهم لان أصغر قنبلة تصيبهم من سفن العدو تودي بنسافتهم وتغرقهم في لجج البحر

الدين والعامة

لا شيءَ اضرّ على الدين والدنيا من اشتراك العامة فيما هو من شأن الخاصة ومن تصدُّر الصغير في مكان الكبير وانزال الجاهل منزلة العالم . ومما يؤسف لهُ أن كانت الامة الاسلامية في كل دور من ادوارها أُلعوبة بايدي الجاهلين والمخرقين وهدفًا لعامة الخراصين والاغبياء الثرثارين فكان دينها ودنياها تتناولها عوامل الفرضى في كل عصر ومصر اللهمَّ الاَّ في بعض الازمان التي انتظمت فيها السياسة — والسياسة متى نهجت القصد في امة يستقيم لها كل شيء في الغالب — كعصر الخلفاء الراشدين وفي عصر افراد من الخلفاء والسلاطين كعمر بن عبد العزيز والمأمون وصلاح الدين ونور الدين وبعض ملوك بني أُمية في الاندلس جاءوا على حين فترة من ازمانهم وخالفوا اخلاق اسراتهم وبيئاتهم فاحسنوا القبض على السلطتين الدينية والمدنية وتوفّروا على اصلاح السعادتين الدنيوية والاخروية فصح ان تدعى حكوماتهم حكومات خاصة لا حكومات عامة . وكلما اتصف الرئيس بصفات الخاصة وبَعُد عن صفات العامة يستقيم امر مرؤوسيهِ على تلك النسبة وكلما شرفت المبادئ شرفت المقاصد ومتى صلحت العين صلحت سواقيها

ولعل من ينظر في هذه المقدمة يظن انني اعني بالعامة ذاك الغوغاء من الناس من سوقة واهل فلاحة وصناعة وتجارة . كلاَّ وانما اعني بالعامة ما عناهُ اهل الاعتزال ممن حكّموا العقول في المنقول . اريد بالعامة ارباب الحشو وانصار التقليد واللغو ممن يدخلون في سياسة اهل الاسلام ودينهم ومنهم الفقيه والنحوي والكاتب العامل والصانع والزارع وكل من تطال الى ما ليس من شأنهِ . وتعدى طورهُ واستعدادهُ فحسب نفسهُ عالمًا بكل شيء مطالبًا بالجزئيات والكليات والعلويات والسفليات

وبعدُ فان من توفر على دراسة احوال الناس واياسهم في هذا الشرق العربي يتجلى لهُ ان عامة المسلمين وهم دهماء القوم وسوادهم واكثرهم تغيراً بالطبع وان لم يأخذوا من الدين الاَّ قشورهُ وبعض شعائرهِ مما الفوهُ بحكم العادة ما برحوا حكامهم والمحكوم عليهم منهم يخلطون كل ما يقع تحت حسهم من آثار الموجودات فيما عرفوهُ انهُ الدين . الرئيس دينياً كان او مدنياً يثير من يشير باسم الدين وهو منهُ اعرى من مغزل . والمرؤوس يقوم بما يقوم بهِ باسم الدين وهو عنهُ بمعزل . وكلا الفريقين لا همَّ لهُ الاَّ ارضاء صاحبهِ وشهواتهِ ومطامعهِ

فدعوى العلماء او العامة في انهم يقومون لنصرة الدين قضت على من سماهُ الخاصة "حجة الاسلام" الغزالي ان يقوموا عليهِ في القرن الخامس ويزروا عليهِ آراءهُ فيما ذهب اليهِ من الجمع بين العقل والنقل فاخذت فئة من عامة الفقهاء تثير كوامن النفوس عليهِ ولولا هجرتهُ زمناً من العراق الى فلسطين والشام لامتدت يد الايذاء الى شخصهِ . وتابعهم الحكام في ذلك وتواطأوا معهم عليهِ واعنتوهُ اعنات غيرهِ من قبل ومن بعد ممن ارادوا الاصلاح ونصحوا ما استطاعوا وأوذوا في سبيل الله . فاكتفي من عقاب الامام بتحريق كتبهِ وخصوصاً كتاب احياء علوم الدين الموصوف بانهُ لو ضاعت كتب الدين برمتها لأُلفيت مجموعة فيهِ . فحُرق في بغداد كما حرق في ساحات غرناطة وما نجلوا مما افتوا بهِ في حياتهِ حتى اذا لقي ربهُ اخذوا يخففون من تعسفهم ويتناسى خلفهم ما قام بهِ سلفهم

ودعوى العامة في الضال عن الدين اقام القيامة على "محدِّث الامة" وعالمها ابن جرير الطبري في اوائل القرن الرابع فلما لم يصلوا اليهِ بمكروهٍ في حياتهِ حالوا بينهُ وبين دافنيهِ بعد مماتهِ فاضطر اصحابهُ ان يدفنوهُ في دارهِ ليلاً . وسبب ذلك كما قال ابن الاثير جمعهُ كتاباً ذكر فيهِ اختلاف الفقهاء لم يصنف مثلهُ ولم يذكر فيهِ احمد ابن حنبل فقيل لهُ في ذلك فقال لم يكن فقيهاً وانما كان محدثاً فاشتد ذلك على الحنابلة وتابعهم غيرهم واتوا من ذلك بما اتوا

ودعوى العامة في التفاني بالدين اخذهم بحنق الامام البخاري صاحب الجامع الصحيح الذي هو اجلُّ كتب الاسلام وافضلها على ما روى الذهبي . فانهُ بعد ان طاف معظم بلاد الاسلام في طلب الحديث وتعليمهِ الناس جاء سمرقند فكاد يهينهُ اميرها خالد بن محمد الذهلي لولا ان الله عجل في عقوبتهِ . "ولما خرج البخاري من بخارى كتب اليهِ اهل سمرقند يخطبونهُ الى بلدهم فسار اليهم فلما كان ببخرتنك وهو على فرسخين من سمرقند بلغهُ انهُ وقع بينهم بسببهِ فتنة فقوم يريدون دخولهُ وآخرون يكرهونهُ وكان لهُ اقرباء بها فنزل عندهم حتى يتجلي الامر فاقام اياماً فمرض . ثم دعا بعد ان فرغ من صلاتهِ "اللهمَّ قد ضاقت عليَّ الارض بما رحبت

فاقبضني اليك" فمات في ذلك الشهر سنة ٢٥٦

ودعوى العامة في الغيرة على الدين دعت الامام مالك بن انس ان ينقطع عن شهود الجمعة والجماعة وحضور الجنائز وعودة المرضى وقضاء الحقوق والاجتماع باصحابه "وكان ربما قيل له في ذلك فيقول ليس كل الناس يقدر ان يتكلم بعذره" . وسعي به الى جعفر بن سليمان عم ابي جعفر المنصور "وقالوا انهُ لا يرى ايمان بيعتكم هذه بشيء فغضب جعفر ودعا به وجرده ونسربهُ بالسياط ومدت يدهُ حتى انخلعت كتفهُ" . وذكر ابن الجوزي ان الامام ضُرب سبعين سوطًا لاجل فتوى لم توافق غرض السلطان

ودعوى العامة في الاحتفاظ بالدين قيامهم على شيخ الاسلام بن تيمية في القرن الثامن بانهُ خالف الدين في كتبهِ ومجالسهِ فاخذوا في تشريدهِ وسجنهِ مرات اعواماً طويلة اذ اقنع عامةُ العلماء عامةَ الامراء بانهُ مبتدع لا سبيل الى ايقاف تيارهِ الاَّ باخفائهِ عن اعين القوم مع ان ما دعا اليهِ الامام هو لب اللباب مما قال بهِ جمهور اكابر علماء الامة وتآليفهُ ومصنفات تلامذتهِ الاعاظم شاهد عدل مدى الدهر بن اعدائهُ من العامة قاوموهُ باسم الدين من اجل الدنيا

ودعوى العامة في الاستمساك بعرى الدين قيامهم على بن حزم الاندلسي المحدث الفقيه الفيلسوف لما مال عن رأي محمد بن ادريس الشافعي في الفقهِ الى قول اصحاب الظاهر مذهب داود بن علي ومن اتبعهُ من فقهاء الامصار ونحهُ ونهجهُ وجادل عنهُ فتمالأ العامة من الفقهاء على بغضهِ . قال ابن بسام في الذخيرة "ردّوا قولهُ واجمعوا على تضليلهِ وشنّعوا عليهِ وحذروا سلاطينهم من فتنتهِ ونهوا عوامهم عن الدنو اليهِ والاخذ عنهُ فاخذ الملوك يُقصونهُ عن قربهم ويسيّرونهُ عن بلادهم الى ان انتهوا بهِ منقطع اثرهِ بتربة بلدة من "بادية ليلة" (بالاندلس) وبها توفي سنة ست وخمسين واربعمائة وهو مواظب على التأليف وبث الدعوة والاكثار من التصنيف حتى كل من مصنفاتهِ في فنون من العلم وقر بعير لم يعدُ اكثرها "بادية ليلة" وحرق بعضها باشبيلية ومزقت علانية . ومن شعرهِ يصف ما احرق لهُ من كتبهِ ابن عبّاد قولهُ

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنهُ القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلّت ركائبي ... وينزل ان أنزل ويدفن في قبري
دعوني من احراق رق وكاغد ... وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
والاَّ فعودوا في المكاتب بدأة ... فكم دون ما تبغون لله من سرّ

ودعوى العامة في نصرة الدين قيام العامة الفقهاء على الامام شهاب الدين السهروردي

الفيلسوف الاصولي الخطيب " لانهُ لم يناظر احدًا الاَّ بزَّهُ ولم يباحث محصلاً الاَّ اربى عليهِ" قال ابن ابي اصيبعة انهُ ناظر الفقهاء بحلب ولم يجارهِ احد فكثر تشنيعهم عليهِ فاستحضرهُ السلطان الملك الظاهر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب واستحضر الاكابر من المدرسين والفقهاء والمتكلمين ليسمع ما يجري بينهم وبينهُ من المباحث والكلام فتكلم معهم بكلام كثير وبان لهُ فضل عظيمٌ وعلمٌ باهرٌ وحسُن موقعهُ عند الملك فعملوا محاضر بكفرهِ وسيروها الى دمشق الى الملك الناصر صلاح الدين وقالوا ان بقي حذا فانهُ يُفسد اعتقاد الملك الظاهر وكذلك ان اطلق فانهُ يفسد اي ناحية كان من البلاد . وزادوا عليهِ اشياء كثيرة من ذلك فبعث صلاح الدين الى ولدهِ يقول لهُ لا بد من قتلهِ فاختار الامام ان يترك في مكان مفرد ويمنع من الطعام والشراب الى ان يلقى الله تعالى ففعل بهِ ذلك في اواخر سنة ٥٨٦ بقلعة حلب وكان عمرهُ نحو ست وثلاثين سنة وقيل ان عامة من العلماء افتوا في دمهِ حتى قيل ان الملك الظاهر سيَّر اليهِ من خنقهُ وانهُ بعد مدة نقم على الذين افتوا في دمهِ وقبض على جماعة منهم واعتقلهم واهانهم واخذ منهم اموالاً عظيمة

ودعوى الخوف على الدين دعت العامة الى اثارة الافكار على سيف الدين الآمدي شيخ المتكلمين في زمانهِ المتوفى سنة ٦٣١ قال الذهبي انهُ نسب في مصر الى دين الاوائل وكتبوا محضرًا باحراق دمهِ نهرب وسكن حماة ثم تحوَّل الى دمشق فولاهُ الملك المعظم ابن العادل تدريس المدرسة العزيزية ولما ولّي اخوهُ الاشرف موسى عزل عنها ونادى في المدارس من ذكر غير التفسير والحديث والفقه او تعرَّض لكلام الفلاسفة نفيتهُ فاقام سيف الدين الآمدي خاملاً في بيتهِ الى ان توفي . ومن العادة ان يعمد الملوك الى ما يريحهم فاذا رأوا العامة حانقين على الفلسفة والفلاسفة منعوها وشرَّدوهم واذا شاهدوا العامة يميلون الى احد المذاهب ارهقوا ما عداهُ ارضاء لهم . وقد حبس الحافظ جمال الدين المزي من اصحاب ابن تيمية لقراءتهِ قصيدة في الردّ على الجهمية من كتاب افعال العباد للبخاري تحت قبة النسر بالجامع الاموي بدمشق فلم يرَ نائب السلطان ارضاء للفريقين الاَّ ان نادى في البلدان ان لا يتكلم احد في العقائد ومن عاد الى ذلك حلَّ مالهُ ودمهُ ونهبت دارهُ وحانوتهُ فسكنت الامور

ومن جملة من سفك دمهُ في زمن السلاجقة عين القضاة الميانجي بهمذان كان من اكابر الائمة وقد خلف ابا حامد الغزالي في المؤلفات الدينية فحسدهُ جهال الزمان المتلبسون بزي العلماء ووضعهم الوزير عليهِ فقصدوهُ بالايذاء وافضى الامر بهِ الى ان صلبهُ الوزير بهمذان

هذا طرف من حال العامة مع الدين ولو استقصيت لاتيت من امثال هذه الامثلة بالعشرات

ومن دخول العامة في مصاف الخاصة ما هو من المضحكات المبكيات . فامة لعامتها ان يدخلوا في كل حال من احوالها متى احبوا ويقوموا على كبار ائمتها وفلاسفتها بدعوى ما يقال لهُ دين في نظرهم ايرجى لها ان تنشط من عقالها وقد استحكمت فيها هذه الملكات على مر السنين والاجيال . نعم عوامل خاصة الخاصة على ما رأيت تلك المعاملة الجافية في العصور السالفة ايام كان للعالم كلمة نافذة وللناقدين من اهل البصيرة قول يسمع فما بالك في القرون الاخيرة وقد ركدت من العلم ريحهُ وخبت مصابيحهُ ولو كان في البلاد الاسلامية من يحصي لها كل يوم ما يقع من استيلاء الجهل على العلم واعنات نفوس الواغبين في الاصلاح والتجديد واهانة زعماء الحرية ومطلق الفكر لأُلِّفت المجلدات الضخمة وما وفيت الحال حقها من الوصف

تاهيك بعامة بلغ بهم الاسترسال في الجهل ان حرموا بفتاواهم القهوة والشاي لما عُرفا ولو لم يغلب العلم الجهل بعد ويسقط العمل بتلك الفتاوى بحكم العادة والرغبة في المفيد لكان خاصة الامة الى اليوم يتحامون تناول اقداح ذينك المشروبين واكوابهما . ومثل ذلك لقي التبغ والتنباك حين انتشارهما فباين العامة الخاصة في تحريمهما وكتبت في ذلك الرسائل والاسفار وما اغنت وبقي الحكم للزمن في حل هذه المعضلة التي اقامت قيامة العامة وجعلت لهم حديثاً تلوكهُ السنتهم زماناً

ولعمري ماذا اعدد من هذه الوقائع من اصرار العامة من العلماء على القول بتحريم المعاطف (جاكيتات) والسراويل والصدر ولبس الاحذية والطربوش والقبعة لانها من لبوس الافرنج وصنعهم ثم كاد يؤلف استعمالها كلها استحساناً لها وتقديراً لنفعها . كل هذا مما يبرهن على صدق خاصة الامة في شكاويهم من العامة . فان ارتعش علماء الغرب اليوم لذكرى ما وقع للعالم غاليليو لما قال بحركة الارض اليومية وللحكيم فيثاغورس لمخالفته القوم في طبيعة الخالق واعناتهما وقتل الثاني شر قتلة فان مؤرخي المسلمين لهم ممن أُعنتوا من علمائهم امثلة يرمض ذكراها سواء كان في القرون الوسطى او الحديثة وان تكن الامة من حيث ارتقاؤها العقلي والعملي لم تبرح بعد كأنها في صميم القرون الوسطى ظلمات بعضها فوق بعض

دمشق محمد كرد علي

داود افندي فتو الصيدلاني واريناهُ اياها مرأى العين فوجد النقل عنها طبق الاصل حرفيًّا ولا بدَّ من ان يكتب اليكم في ذلك

بغداد الحاج حسينقلي جديد

[المقتطف] وكتب الينا حضرة وكيلنا داود افندي فتو يقول انهُ اطَّلع على الكتب فوجد النقل عنها صحيحًا وبعث الينا بكتاب من كتب البابية. نخطر على بالنا ما قالهُ احد الحكماء وهو ان الانسان يبقى معتمدًا على عقلهِ حتى يصل الى الدين ويبقى معتمدًا على دينهِ حتى يصل الى المال وهو حكم اغلبي

شكوى بريطانيا الى الآلهة

للسر كارنجي المثري الشهير (١)

استمع لي يا ابا الالهة واصغِ اليَّ ايتها الارباب فان تجارتي الخارجية لا تزيد على ٩٠٣٣٦٣٠ من الجنيهات

الجواب من مجمع الالهة — يا غامطة النعمة أكانت تجارتكِ في عام من الاعوام اكثر مما هي الآن وهل قاربتها تجارة امَّة اخرى . لو قُسمتْ على ما فيكِ من النفوس لاصاب النفس واحد وعشرون جنيهًا ونصف جنيه ويصيب النفس في فرنسا ثمانية جنيهات واحد عشر شلنًا لا غير وفي المانيا ثمانية جنيهات وستة شلنات وسبع في الولايات المتحدة ستة جنيهات وثلاثة شلنات

وانتَ يا نبتون اله البحر ويا تريتون اله الابواق يا حارسي سلطان بريطانيا على البحار انظرا اليَّ فان ما تشحنهُ سفني لا يزيد على ستة عشر مليونًا وستمئة الف طن

الجواب من مجمع الالهة — طمع اشعبيٌّ . ان ما تشحنهُ سفنكِ على ازدياد مستمرّ ولم يكن قط اكثر منهُ الآن وهو يزيد على كل ما تشحنهُ الامم الاخرى مجتمعة فاحترسي لئلاَّ تغيظي الآلهة بغمطكِ النعمة . ولا يقمنَّ في بالكِ ان امَّة واحدة تبقى فائقة على كل الامم . فستزيد سفنكِ التجارية وستزيد ايضًا سفن سائر الامم وربما زادت اكثر مما تزيد سفنكِ

وانت يا ميداس ملك الذهب هلمَّ لمساعدتي فان ثروتي لا تزيد على ١١٨٠٦٠٠٠٠٠٠ ملايين من الجنيهات

الجواب من مجمع الالهة — هذه ثروة لم تعطَ لغيركِ من الامم ولا يفوقكِ فيها الاَّ ابنتك

(١) نشرت في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية وقد فاتنا نشرها مع المقالات فنشرناها هنا

تسعة ايام حتى اضطررنا ان نعود ادراجنا من شدة البرد ولم نكن نخلع ثيابنا بل كنا ننام فيها الا جواربنا فاننا كنا نخلعها ليلا والا جلدت اقدامنا لان الاقدام تدفأ بانحصارها ضمن احذية الفرو فتترطب ثم تبرد وتجلد

وكنا ننام في اكياس صفيقة لايدخلها الهواء كان ثقل الكيس منها اولاً ٤ ارطالاً ولكنها ثقلت رويداً رويداً بما تجمع عليها من ابخرة انفاسنا فبلغ ثقل الكيس منها لما رجعنا ٢٨ رطلاً . وكنا في الصباح نلف الكيس لنحمله وفي المساء ننشره وندخل فيه فتذيب حرارة ابداننا بعض الجليد اللاصق به او المتخلل نسيجهُ فيصير داخلهُ رطباً ونعلق جواربنا خارجاً عسى ان تتبخر الرطوبة منها فنجدها في الصباح مجلودة فنضع اقدامنا فيها رغماً عنا ويمضي على الواحد منا ثلاثة ارباع الساعة قبلما يتمكن من لبس جوربيهِ وحذائيهِ . فكنا ننهض الساعة الخامسة صباحاً فنقضي ساعتين في رفع اثقالنا قبل الشروع في السير ولم نكن نشعر براحة الا حين نعود الى اكياسنا في الليل التالي وندخن قليلاً من التبغ اما ونحن سائرون جنوباً فلم نستطع ان نحمل التبغ معنا فحرمنا تلك اللذة ثلاثة اشهر متوالية وبلغنا حينئذٍ الدرجة ١٧ ٨٢ من العرض الجنوبي فابعدنا مشتي ميل عن ابعد ما وصل اليهِ غيرنا جنوباً ولم نخلع ثيابنا الا مرة واحدة وكنا حينئذٍ ثلاثة انا والدكتور ولسن والقبطان سكوت وقضينا في ذلك السفر ٩٤ يوماً وكنا نسير في اليوم ١٥ ميلاً فلا تتقدم اكثر من خمسة اميال لان كلابنا مات اكثرها فكنا نضطر ان تتقدم خمسة اميال بنصف مزاقتنا ثم نعود ادراجنا ونجر النصف الثاني ودمنا على ذلك شهراً من الزمان الى ان بلغنا مرتفعاً من الارض حيث نستطيع ان نبقي بعض امتعتنا ولا نضل عنها فابقينا هناك كل ما يمكننا الاستغناء عنهُ وسرنا ببقية الامتعة والكلاب سيراً حثيثاً وجعلنا نقتر على انفسنا في الطعام فلا نأكل الا قليلاً من السكر واللحم المقدد والبسكت ولم يعد معنا ما نطعم الكلاب فكنا نذبح الكلب منها ونطعم رفاقهُ لحمهُ فعاش بعضها على بعض . وبلغ النصب منا ان صرنا لانستطيع في المساء رفع اقدامنا ودخول الخيمة مالم نرفعها بايدينا . وصرنا نحلم بالطعام لشدة ما عرانا من الجوع وكثيراً ما كنت احلم ان امامي قطائف يحلوى وامد يدي اليها فتختفي من امامي . وكان واحد من رفيقي يحلم انهُ يأكل دائماً لكن الطعام لا يشبعهُ فيبقى جائعاً . ومرت الايام ونحن نتقدم في سيرنا رويداً رويداً الى الحادي والثلاثين من دسمبر فبلغنا ابعد نقطة وصلنا اليها ونشرنا هناك العلم البريطاني

وها خلاصة ما كتبتهُ في يوميتي في ٢٥ دسمبر يوم عيد الميلاد سنة ١٩٠٢

اليوم من اجمل الايام واقلها برداً واصفاها سماء ولقد اسرعنا في سيرنا بعد ان خففنا

اثقالنا فصرنا نقطع عشرة اميال في اليوم. افطرنا على قليل من اللحم والبسكت ومربى كبوش العلّيق وقد اتينا بهِ معنا من السفينة لهذهِ الغاية. اكل كلٌّ منا ملعقة منهُ ثم صوّرت رفيقيّ والعلَم البريطاني فوق رأسيهما. ومشينا بعد ذلك اربع ساعات وجلسنا للغداء وسخّنا طعامنا قبل اكلهِ وكان دوري في الطبخ. ومشينا ثلاث ساعات ونصبنا خيمتنا للمبيت وسخنتُ طعام العشاء وكان عشاء فاخرًا فيهِ الكوكوى والبلم بدن وعزمنا ان لانبعد اكثر مما نصل اليهِ في الثامن والعشرين من الشهر لان علامات مرض الاسكربوط كانت قد بدت فينا

"لكننا واصلنا السير حتى الحادي والثلاثين من الشهر ووقفنا حيث وصلنا وعن يميننا جبل شاهق يناطح السحاب ارتفاعهُ اربعة عشر الف قدم والى الجنوب والشرق منا سهل منبسط من الجليد لاحدَّ لهُ غير الافق والى الشمال شمس مشرقة يتدفق النور منها وهي تدور حولنا يومًا بعد يوم من غير ان تغرب. وقد نفد اكثر طعامنا وبدت علامات الاسكربوط فينا ولم يبقَ من كلابنا الاَّ القليل وصار بُعدنا عن السفينة نحو ٣٠٠ ميل فاضطررنا ان نعود ادراجنا رغمًا عنا فوقفنا نحولنا وجوهنا نحو الشمال وسرنا القهقرى على ما بنا من التعب والضعف

"ثم اعترانا البهر فان نور الشمس كان ينعكس عن الثلج ويعمي بصرنا والذي يصاب بذلك يضطر ان يربط عينيهِ ويسير متلمّسًا حتى اذا انقضى سير النهار لم يجد في المساء غير قليل من الطعام لا يشبع جائعًا وهاك فقرة مما كتبتهُ ونحن راجعون

"١٠ يناير مضى عليَّ يومان لم استطع ان اكتب فيهما كلمة لانني كنت مصابًا بالبهر. ذبحنا "كد" البارحة ومات "بوس" (اسما كلبين) سرنا خمسة اميال ونصف ميل قبل الظهر وثلاثة اميال ونصف ميل بعدهُ. عصفت الريح ومعها ثلج رطب فذاب الثلج في خيمتنا وقضينا الليل كأننا في بركة ماء ولم يبقَ معنا الاَّ ثلاثة كلاب"

"١١ يناير لا تزال الريح تهبُّ ومعها ثلج ناعم رطب. سرنا ثمانية اميال ولم يبقَ معنا الاَّ كلبان"

ووصلنا الى حيث تركنا امتعتنا فحملنا الطعام وتركنا كل ما سواهُ واصابني نزف دم هناك فلم اعد اعي على شيء ولولا رفيقاي لقضيت عليَّ فانهما جرّا المزالق وحدهما وكانا يعاونانني على السير مع ما بهما من الضعف وبلغنا سفينتنا في الثالث من شهر فبراير فوجدنا هناك السفينة المسماة بالصباح وكانت قد أُرسلت للتفتيش عنا وانقاذنا. وذهب رفاقنا فرقًا فرقًا للبحث والاستقصاء فلقي اكثرهم من المشاق اكثر مما لقينا انتهى

وخلاصة ما يقال عن سفر هذه السفينة ان جماعة من الانكليز سعي الاكتشاف الراغبين

في مصلحة وطنهم ورفع شأنهِ واحراز قصب السبق لهُ في كل مفخرة اكتتبوا بمال لارسالها الى ابعد ما وصل اليهِ الناس جنوباً لاجل المكتشفات العلمية ولرفع العلم البريطاني على ما يمكن ان يكتشف من الاراضي فعاونتهم الحكومة الانكليزية بخمسة واربعين الف جنيه واقلعت السفينة من بلاد الانكليز في السادس من شهر اغسطس سنة ١٩٠١ بقيادة القبطان سكوت بعد ان زارها الملك والملكة فبلغت زيلندا الجديدة في اوائل دسمبر وغادرتها ليلة عيد الميلاد وكان فيها حينئذٍ ١١ ضابطاً و٣٧ بحاراً و٢٣ كلباً من كلاب المنطقة الشمالية لجر المزالق فسارت اولاً ١٠٠٠ ميل الى الجنوب ووجدت الثلج هناك فخاضت فيهِ ٥٠٠ ميل وبلغت شاطئ البر الجنوبي في ٩ يناير سنة ١٩٠٢ والظاهر ان حول القطب الجنوبي براً واسعاً اوسع من استراليا والقطب الجنوبي في مركزهِ فلما بلغتهُ سارت بازاء شاطئهِ الشمالي ثم عادت الى لحف جبل اريبس حيث شتت وهو بركان كبير يبعد عن زيلندا الجديدة نحو الفي ميل جنوباً واطبق الليل عليها من ابريل الى اغسطس وجلد البحر حولها مسافة مئات من الاميال وبقي كذلك نحو عشرة شهور فانقطعت اخبارها

وفي اوائل نوفمبر قام القبطان سكوت والدكتور ولسن والملازم سكلتون كاتب الفصل المتقدم واخذوا الكلاب كلها معهم وساروا جنوباً وجرى لهم ما أشير اليهِ في الفصل السابق ولما رجعوا وجدوا ان السفينة التي بعثت بها الجمعية الجغرافية الملكية وهي المسماة بالمورننج (الصباح) قد جاءت لمعونتهم فاوصلت اليهم كثيراً من الزاد وكذلك وصلت اليهم سفينة أخرى اسمها ترانوفا وبعد عناء شديد انفك الجليد من حول سفينة الدسكفري وعادت الى انكلترا بمن فيها من الرجال وما جمعوهُ من الآثار الطبيعية وما كتبوهُ من الارصاد الجوية والفلكية وكان لرجوعها شأن كبير في اوربا وقد جاءتنا شركة روتر التلغرافية بتلغراف في اول ابريل من مدينة لتلتون تقول فيهِ "وصلت السفن الثلاث المرسلة الى جهات القطب الجنوبي (وهي دسكفري ومورننج وترانوفا) وقد ادركت الاخيرتان الاولى في فبراير فوجدتا كل من فيها بخير وقضى عملاؤها والرواد فيها فصل الشتاء سنة ١٩٠٣ في ابحاثهم العلمية ثم جاء الربيع وكلهم في الصحة والاعتدال وقد تحققوا ان بلاد فكتوريا لند تمتدُّ الى الداخل على ارتفاع تسعة آلاف قدم فاستدلوا من ذلك على وجود بر واسع مرتفع حول القطب الجنوبي" هذا شأن الاوربيين يبذلون النفس والنفيس في البحث والاستقصاء لكي تتسع معارفهم ويكون لهم السبق في كل شيء

شيعتهُ منهم يستعبدهم فيما شاء تارة يكفّر من سوى فريقهِ وتارة يبدّعهُ حتى وصل الامر الى ان يشك اهل الترنسفال في جواز اقتداء الحنفي بالشافعي او الشافعي بالحنفي فطلبوا الفتوى في ذلك دفعاً لما وقع في نفوسهم من الشك

هذه الفرقة وان لم يخلُ منها عصر ومصر كما يظهر مما ذكرهُ الامام الغزالي في كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة حيث قال في العلماء الذين كفّروهُ لما قام بالاصلاح : واني تجلى اسرار الملكوت لقوم الههم هواهم ومعبودهم امراؤهم وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم وشريعتهم رعونتهم وارادتهم جاههم وشهواتهم وعبادتهم خدمتهم اغنياءهم وذكرهم وساوسهم وكنزهم سؤاسهم وفكرهم استنباط الحيل لما تقتضيهِ حشمتهم فهؤلاء من اين تتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان بالهام الهي ولم يفرغوا القلوب عن كدر الدنيا لقبولها ام بكمال علمي وانما بضاعتهم في العلم مسألة ازالة النجاسة بماء الزعفران وامثالها . . .

بيد ان امثال هؤلاء الجماعة في عصر الغزالي وقبلهُ كانوا اقل من عصرنا بما لا يحصى على ما يظهر لمن تتبع التاريخ تتبع محقق مدقق ولذلك كان الخطر الآن اشد وعظم وكان النصح فيهِ مما يتحتم . غير ان بعض من يرجع لآرائهم يرى ان خمسين عاماً تكفي لتنافي الخطر ان لم يتداركهُ ارباب الدين الذين هم اهلهُ على التحقيق لا على المجاز . والرجاء ان يقوم هولاء بما عليهم نهاية القيام ولا يبالوا بالفريق الآخر الذين لا يهمهم صلاح الدين والدنيا وانما نهاية امرهم ان ينالوا ما يبتغون من المآرب الدنيا

عن جزيرة العرب متعلّم متألّم

مثال الكمال

تظلُّ الخضراء وتقلُّ الغبراء افراداً قلائل اتصفوا بالفضائل وعشقوا الكمالات فكانوا بعض فائدة في المجتمع البشري فمن العدل احياء ذكرهم ليظلوا على الدهر قدوة لغيرهم ومن هذه الزمرة فقيد الفضيلة محمد علي افندي مسلم احد دعاة الاصلاح في هذه الديار ومن علمائها العاملين . لقي ربهُ في دمشق الشام صبح الشهر الغابر عن اربعين عاماً في عمرهِ وهمهُ انكار منكر وامر بمعروف وغايتهُ ان يرى لقومهِ مجداً مؤثلاً في العلم والعمل وفضيلة رافعة في الدارين

نال الفقيد من العلوم الدينية واللسانية حظاً وافراً ووقف من الفلسفة والتاريخ والطبيعة على طرف صالح وما قصد بعلمهِ الاَّ تنوير عقل وتثقيف خلق واطلاعاً على مجهول . وتعلم اكثر ما تعلم بالدرس وحدهُ دون ارشاد معلم الاَّ في النادر وبلغ ما بلغ من الفضل وهو بعيد عن

طلب الشهرة مؤثر للخمول دون الظهور بحيث لم يكن يعرفهُ حق معرفتهِ الاَّ اصدقاؤهُ وهم كثيرون في كل المذاهب والنحل اذ من طبعهِ بغض التعصب كيف كان نوعهُ ومن عادتهِ ايناس وحشة جليسهِ وسلامة الذوق في بث الافكار الصحيحة حتى كان يعلم مخاطبهُ أن كان لا يعلم دون ان يشعرهُ بانهُ قاصد لذلك

فبينما كنت ترى الفقيد متصوفاً متشدداً على من ينكر على المتصوفة اذا هو يباحثك في الحكمة الطبيعية مباحثة من ذاقها فعرفها . يبحث في التاريخ والادب ثم لا يلبث ان يتكلم في الشؤون السياسية والاجتماعية فكان يحب كل عالم ويدعو الى كل نافع . فضيلة مجسمة وزهد مع علم وعمل . وللفقيد من التآليف كتابان لم يطبعا الاول في حروف المعاني في علم النحو جمع فيهِ فاوعى والثاني في علم الادب تصفح من اجلهِ جلَّ ما عُرف من دواوين الشعر واسفار الادب ولهُ بعض مقالات في الاصلاح الاسلامي نشرها في بعض المجلدات مغفلة من اسمهِ ولهُ شعر مليح ونثرهُ لطيف يغلب عليهِ السجع . وكان من اصدقاء المقتطف وهو الذي فتح لهُ باب الولوج في المباحث العصرية العالية وزاد في ولوعهِ فيها . وكان ذكرهُ لمعظم الابحاث التي وردت في كل سنة من سنيهِ ولم يكن يعرف لغة اجنبية وانما طالع كلَّ ما نقل الى العربية من كتب الافرنج وكان يقول ان العرب كتبوا في كل فن واجادوا . رحمهُ الله وعزى بهِ مكارم الاخلاق وعشاق العلم الصحيح . (م . ك)

البابة

حضرة العاملين العاملين منشئي المقتطف

اطلعتُ على ما كتبتموهُ في الصفحة ١٨١ من مجلَّة المقتطف هذه السنة مما يدلُّ على انكم مرتابون في صحَّة ما نقلناهُ عن كتب البابة فرأينا ان نكتب هذا الى حضرتكم لدفع الريب وقطع الشبهة

فاولاً ان الكتاب الذي ارسلناهُ الى حضرتكم نشرناهُ في العراق وايران والهند وبلدان كثيرة بين المخالف والموافق وارسلناهُ الى الامراء والوزراء والسفراء حتى الى حضرة مفتي عكاء وكتبنا اليهِ ان يعطيهُ بعد ما يطالعهُ لعباس افندي رئيس البابية حتى يطالعهُ . فالعاقل لا يفعل ذلك الاَّ اذا كانت كتب البابية في يدهِ . ولكنكم معذورون في ريبكم لانكم رأيتم عجباً لم تروا قبلاً شيئاً مثلهُ ولذلك احضرنا الكتب التي نقلنا عنها الى حضرة وكيلكم في بغداد

داود افندي فتو الصيدلاني وارساله اياها مرأى العين فوجد النقل عنها طبق الاصل حرفيًا ولا بدَّ من ان يكتب اليكم في ذلك

بغداد الحاج حسينقلي جديد

[المقتطف] وكتب الينا حضرة وكيلنا داود افندي فتو يقول انهُ اطَّلع على الكتب فوجد النقل عنها صحيحًا وبعث الينا بكتاب من كتب البابية. نخطر على بالنا ما قالهُ احد الحكماء وهو ان الانسان يبقى معتمدًا على عقلهِ حتى يصل الى الدين ويبقى معتمدًا على دينهِ حتى يصل الى المال وهو حكم اغلبي

شكوى بريطانيا الى الآلهة

للسر كارنجي المثري الشهير (١)

استمع لي يا ابا الالهة واصغِ اليَّ ايتها الارباب قان تجارتي الخارجية لا تزيد على ٩٠٣٣٦٣٠٠٠ من الجنيهات

الجواب من مجمع الالهة — يا غاطسة النعمة أكانت تجارتكِ في عام من الاعوام اكثر مما هي الآن وهل قاربتها تجارة امَّة اخرى . لو قُسمتْ على ما فيكِ من النفوس لاصاب النفس واحد وعشرون جنيهًا ونصف جنيه ويصيب النفس في فرنسا ثمانية جنيهات واحد عشر شلنًا لا غير وفي المانيا ثمانية جنيهات وستة شلنات وسبع في الولايات المتحدة ستة جنيهات وثلاثة شلنات

وانتَ يا نبتون اله البحر ويا تريتون اله الابواق يا حارسي سلطان بريطانيا على البحار انظرا اليَّ فان ما تشحنهُ سفني لا يزيد على ستة عشر مليونًا وستمئة الف طن

الجواب من مجمع الالهة — طمع اشعبيٌّ . ان ما تشحنهُ سفنكِ على ازدياد مستمرّ ولم يكن قط اكثر منهُ الآن وهو يزيد على كل ما تشحنهُ الامم الاخرى جمعاء فاحترسي لئلاَّ تغيظي الآلهة بغمطكِ النعمة . ولا يقعنَّ في بالكِ ان امَّة واحدة تبقى فائقة على كل الامم . فستزيد سفنكِ التجارية وستزيد ايضًا سفن سائر الامم وربما زادت اكثر مما تزيد سفنكِ

وانتَ يا ميداس ملك الذهب هلمَّ لمساعدتي فان ثروتي لا تزيد على ١١٨٠٦٠٠٠٠٠٠ ملايين من الجنيهات

الجواب من مجمع الالهة — هذه ثروة لم تعطَ لغيركِ من الامم ولا يفوقكِ فيها الاَّ ابنتك

(١) نشرت في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية وقد فاتنا نشرها مع المقالات فنشرناها هنا

تسعة ايام حتى اضطررنا ان نعود ادراجنا من شدة البرد ولم نكن نخلع ثيابنا بل كنا ننام فيها الأجواربنا فانا كنا نخلعها ليلا والاَّ جلدت اقدامنا لان الاقدام تدفأ بانحصارها ضمن احذية الفرو فتترطب ثم تبرد وتجلد

وكنا ننام في اكياس صفيقة لايدخلها الهواء كان ثقل الكيس منها اولاً ١٤ ارطلاً ولكنها ثقلت رويداً رويداً بما تجمع عليها من ابخرة انفاسنا فبلغ ثقل الكيس منها لما رجعنا ٢٨ رطلاً . وكنا في الصباح نلف الكيس لنجعله وفي المساء ننشره وندخل فيه فتذيب حرارة ابداننا بعض الجليد اللاصق به او المتخلل نسيجه فيصير داخله رطباً ونعلق جواربنا خارجاً عسى ان تتبخر الرطوبة منها فنجدها في الصباح مجلودة فنضع اقدامنا فيها رغماً عنا ويمضي على الواحد منا ثلاثة ارباع الساعة قبلما يتمكن من لبس جوربيه وحذائيه . فكنا ننهض الساعة الخامسة صباحاً فنقضي ساعتين في رفع اثقالنا قبل الشروع في المسير ولم نكن نشعر براحة الاَّ حين نعود الى اكياسنا في الليل التالي وندخن قليلاً من التبغ الذي ونحن سائرون جنوباً فلم نستطع ان نحمل التبغ معنا فحرمنا تلك اللذة ثلاثة اشهر متوالية وبلغنا حينئذٍ الدرجة ٨٢٫١٧ من العرض الجنوبي فابعدنا مئتي ميل عن البعد ما وصل اليه غيرنا جنوباً ولم نخلع ثيابنا الاَّ مرة واحدة وكنا حينئذٍ ثلاثة انا والدكتور ولسن والقبطان سكوت وقضينا في ذلك السفر ٩٤ يوماً وكنا نسير في اليوم ١٥ ميلاً فلا نتقدم اكثر من خمسة اميال لان كلابنا مات اكثرها فكنا نخطر ان تتقدم خمسة اميال بنصف مزالتنا ثم نعود ادراجنا ونجر النصف الثاني ودمنا على ذلك شهراً من الزمان الى ان بلغنا مرتفعاً من الارض حيث نستطيع ان نبقي بعض امتعتنا ولا نفصل عنها فابقينا هناك كل ما يمكننا الاستغناء عنه وسرنا ببقية الامتعة والكلاب سيراً حثيثاً وجعلنا نقترعلى انفسنا في الطعام فلا نأكل الاَّ قليلاً من السكر واللحم المقدد والبسكت ولم يعد معنا ما نطعم الكلاب فكنا نذبح الكلب منها ونطعم رفاقه لحمه فعاش بعضها على بعض . وبلغ التعب منا ان صرنا لانستطيع في المساء رفع اقدامنا ودخول الخيمة مالم نرفعها بايدينا . وصرنا نحلم بالطعام لشدة ما عرانا من الجوع وكثيراً ما كنت احلم ان امامي قطائف يحلوى وامد يدي اليها فتختفي من امامي . وكان واحد من رفيقي يحلم انه يأكل دائماً لكن الطعام لايشبعه فيبقى جائعاً . ومرت الايام ونحن نتقدم في سيرنا رويداً رويداً الى الحادي والثلاثين من دسمبر فبلغنا ابعد نقطة وصلنا اليها ونشرنا هناك العلم البريطاني

وها خلاصة ما كتبته في يوميي في ٢٥ دسمبر يوم عيد الميلاد سنة ١٩٠٢

اليوم من اجمل الايام واقلها برداً واصفاها سماء ولقد اسرعنا في سيرنا بعد ان خففنا

حيث يكثر زرعهُ وهذا امر محتوم لا تستطيع الالهة منعهُ فاذا استطاع ابناؤك ان يحتفظوا بالمقام الذي نالوهُ في صناعة القطن خلّدوا لم ذكرًا لايمحى وطالب الزيادة طالب المحال

اسمع لي يازفس واصغوا ايها الارباب الى دعائي وبينوا لي لماذا لم اعد ازداد في كل شيء كما يزداد مناظري فان هذهِ هي شكواي وهذهِ هي علة بلواي

الجواب — لان الآلهة انعمت عليكِ اولاً حتى امتلأت كأسكِ دهاقًا وهي الابت تسكب لبقية الامم ما فاض عن كاسكِ فما ينالها لاينقص شيئًا مما نالك . وان الجزية لتأتيك من كل الممالك من غير استثناء فليسرك تقدُّم الامم لانهُ يعود عليكِ بزيادة التقدم والرخاء واذا تأخرت هي تأخرتِ انتِ معها . ويستحيل على الالهة ان تفرغ في كاسكِ اكثر مما تسع وان تزيد خير بلادكِ وهي محدودة الجوانب . ولا بدَّ من افراغ الخير في كؤوس غيرك ولا سيما الذين من لحمك ودمك . ولا تلومي الالهة على صغر كاسكِ لان تغييرها ضرب من المحال وقد بلغت مملكتكِ حدها من النمو او كادت ولم تبلغ مملكة اخرى ما بلغت فلا تطلبي المحال كما يطلب الاطفال مسك القمر

اليكِ التفتُ يامرس الاهة الحصاد واطلب منك العون حتى يصير عندي من الطعام ما يكفيني ولا ابقى معتمدة على الجمهورية الاميركية في غذائي وكسائي فانها اذا منعت عني قطنها اوقعتني في ضيقة لا مثيل لها واذا منعت عني قمحها امانتني جوعًا واذا القي في الاذهان انها عازمة على ذلك عزمًا اصاب ابنائي عارض من الجنون لان ليس في بلادي من الطعام ما يكفيهم اكثر من بضعة اسابيع

لقد سبقت الالهة ورأت ذلك وامرت بهِ نخير بريطانيا . لو نشبت الحرب بين انكلترا وبين الدول الثلاث فرنسا والمانيا وروسيا لما منعن اليابان من اغتنام ما غنمت في حربها مع الصين فماذا كان يحلُّ بكِ حينئذٍ اذا كان قوتكِ من املاككِ فان بوارج هذهِ الدول كانت تصادرهُ وتقبض على كل ما يرد منهُ اليكِ اما الآن وطعامك من الولايات المتحدة وهي ترفع علمها على سفنها وتمنع كل احد من مصادرتها بدعوى ان مواد الطعام ليست مما يصادر . فتأملي في ذلك كلهِ واشكري الالهة على ما دبرتهُ لكِ

اني شاكرة لكِ ايتها المعبودة ما تفضلت بهِ ولكن ماذا يكون حالي لو نشبت الحرب بيني وبين الولايات المتحدة

اليكِ عن هذه المخاوف فان الآلهة قضت بان كل خلاف يقع بينك وبينها يُفصَل بالتحكيم فالحرب بينكما ضرب من المحال لانهُ يوم تسوّل لك نفسكِ محاربتها ومهاجمة ثغورها تموتين

جوعاً فضلاً عن ان مدنها البحرية لا يوصل اليها لان لها مداخل تُسَدّ في يوم واحد وهي لا تستطيع الهجوم عليكِ في جزيرتكِ فانتما اضعف الممالك واقواها اضعفها اذا اخلدتما واقواها اذا اتفقتما . ثم اذا عزمت على محاربة الولايات المتحدة وهذا امر قضت الالهة بمنعهِ فلا تظنين انهُ يصلكِ شيء من الطعام من كندا فانفِ الغرور من نفسكِ . وابناء اللغة الانكليزية لا يتحاربون بعد الآن وانما يتحدون لمحاربة غيرهم لغرض شريف . هذا ما قضت بهِ الالهة فاعلمي وعي هذا في ذهنك وهو ان اعتمادكِ في طعامكِ على الولايات المتحدة خير لكِ من اعتمادكِ فيهِ على مستعمراتكِ لانهُ يكون حينئذٍ عرضة للمصادرة كلما نشبت حرب بينك وبين خصومكِ . هذا ما قضت بهِ الالهة لخيركِ ولقد كان ضرباً من الجنون منكِ ميلكِ الى تكدير العلاقات بينكِ وبين الولايات المتحدة فلا توقظي الفتنة ولا تحاولي المحال

يا كبير الالهة يا رئيس الوهيب اكشف لي عن مستقبل أمتي لئلا يحلّ بي القنوط فان كانت الالهة حكمت ان كأسنا امتلأت ولم يبقَ لنا سبيل لنزيد عدداً وعَدَداً وثروةً ومنعةً فالايام التي حولنا ستفوقنا وتتقلب علينا ونصير منها في المنزلة الخامسة بعد ان كنا في المنزلة الاولى فاشفق علينا يا كبير الالهة فانا منك نطلب العون والحفظ

الجواب — لا تخافي ايتها السيدة الكريمة لانهُ لم يقدَّر شيء من ذلك لابنائكِ فقد كنتِ عزيزة في عيون الالهة ولا تزالين عزيزة في عيونها ولن تزالي ولقد قدَّرت لكِ ولابنائكِ السيادة على المسكونة . وانتِ وابناؤكِ عزاز في عيون الالهة بل انت اوفر منهم عزةً وسيبقى صولجان الملك في يدكِ . فافرحي وسري وثقي بالآلهة وليكن ذلك ختام المقال

قف قف واخبرني كيف ومتى واين

فتجلّت مرتا الاحة العصمت وسمع في الهواء ركز خفيف يقول كفى كفى لا تطلبي المزيد انما الالهة تعلم مصير الامور وبين بني آدم من يستطيع الانباء بذلك ولكن ختمت الالهة على شفتيهِ فلا يتكلم

ختمت الالهة على شفتيهِ لكن الخبور طافح على قلبهِ لعلمهِ ان مستقبل امتهِ يفوق حاضرها وماضيها وان الالهة قدَّرت لها قيادة العالم ويوم مجدها غير بعيد يراهُ كثيرون من قارئي هذه السطور